مقدمـة

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما مصدرا التشريع الإسلامي، **فالقرآن** هو كلام الله، الموحى به إلى خاتم الأنبياء والمرسلين بلسان عربي مبين، والمنقول عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نقلاً متواتراً بلا أدنى شبهة، بنفس النص الذي أوحي إليه، والذي نجده في المصاحف التي خُطت أو طبعت على مر العصور، كما نجده مسجلاً في صدور الحفاظ جيلاً بعد جيل، ومن ثم نجده محفوظاً على مختلف صور الأشرطة والإسطوانات الممغنطة والمضغوطة، وعلى غير ذلك من مختلف صور الحفظ الحاسوبية المتعددة.

وقد نزلت آيات القرآن الكريم منجمة على مدى ثلاث وعشرين سنة، وكتبت كلها في حياة رسول الله ﷺ عقب الوحي بكلٍّ منها مباشرة، ثم رُتِّبت تلك الآيات في مئة وأربع عشرة (١١٤) سورة، وسُمِّيت السور ورتبت بتوقيف من الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي تعهد بحفظ آخر كتبه المنزلة؛ فحفظه بنفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية) وحفظه كلمةً كلمةً، وحرفاً حرفاً على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله ـ تعالى ـ على الخلق أجمعين إلى أن يشاء الله رب العالمين، وذلك لأن أصول الكتب السماوية السابقة كلها كانت قد تعرضت للضياع التام، وما بقي من ذكريات عن عدد قليل جداً منها (من مثل التوراة، الزبور، والإنجيل) نقلت شفاهاً لعدة قرون قبل تدوينها بأيدي مجهولين، وفي لغات غير اللغات التي أوحيت بها، مما أدى إلى تعرضها للتحريف والتبديل والتغيير، ولا تزال هذه الذكريات تتعرض لذلك التحريف إلى يومنا الراهن، لأن أصحابها لا يتعاملون معها كنص سماوي، بل على أنها كتابات بشرية من التراث الإنساني، وعلى ذلك فهي قابلة للتعديل والتبديل والتطوير والحذف والإضافة، وهذا ما حدث بها عبر التاريخ، ولا يزال

يحدث إلى زماننا الراهن. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ الذي أنزل كلّاً من صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم» أو «العهد الجديد» فكلاهما صناعة بشرية كاملة، وإن تحدثت عن عدد من أنبياء الله ورسله وعن غيرهم من الناس الذين هم ليسوا برسل ولا بأنبياء.

وعلى ذلك فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس اليوم محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) بصفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، والحق الإلٰهي المطلق الذي جاء به؛ ولذلك فهو الكتاب الوحيد الذي يُتعبد بتلاوته، والذي لا تصلح الصلاة إلا بقراءة فاتحته، والذي لا يُغني عنه في الصلاة شيء من الأحاديث أو الأذكار أو الأدعية.

وقد تحدى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كلًّا من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن مجتمعين متظاهرين فقال عز من قائل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

كما رد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على ادعاء من ادعى من الكفار والمشركين أن الرسول ﷺ قد افتراه ـ وهو النبي الأمي الذي لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة، وذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

وتحدى الله ـ تعالى ـ العرب ـ على ما كانوا عليه من علم بأسرار العربية وأسباب البيان والفصاحة والبلاغة ـ أن يأتوا بسورة واحدة من مثله. ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يستطيع عاقل مجابهته، على الرغم من مضي أكثر من أربعة عشر قرناً. وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقد عَجَزَت القدرات البشرية، ولا تزال عاجزة عن أن تُداني كتاب الله في روعة بيانه، أو في كمال صفاته، ودقة دلالاته، وصدق أنبائه، وروعة معانيه، وعدالة تشريعه، ومكارم الأخلاق التي يدعو إليها، وضوابط السلوك التي وضعها، وسمو العقائد التي رَسَّخها، والعبادات التي شرعها، والحقائق التاريخية والعلمية التي أوردها. وكذلك عجزت القدرات البشرية ولا تزال عاجزة عن محاكاة القرآن الكريم في نهجه وصياغته، وفي تمام إحاطته بطبائع النفس البشرية، وقدرته على التعامل معها وعلى هدايتها، وفي دقة استعراضه لمسيرة البشرية، من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ، ومن هنا كان وصف القرآن الكريم بأنه معجز في كل أمر من أموره، بمعنى عجز البشر جميعاً عن الإتيان بشيء من مثله.

أما **السنة النبوية المطهرة** فتشمل كل ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

و(**الخبر**) أعم من الحديث، و(**الأثر**) ما كان موقوفاً على أحد الصحابة الكرام. و(**الحديث**) في اللغة هو الجديد، ويستعمل في التعبير عن (الخبر)، وفي اصطلاحات المحدثين هو (السنة)، وإن اعتبر البعض تعبير «السنة» أشمل من تعبير «الحديث».

وللحديث أقسام كثيرة، ولكن أشهرها هو: (**الصحيح**)، و(**الحسن**)، و(**الضعيف**). و(**الحديث الصحيح**) هو ما اتصل سنده بنقل العَدْل الضَّابِط عن مثله، والذي سلم من الشذوذ والعلل. ومن الصحيح: **الآحاد، والمتواتر، والعزيز، والغريب، و المسلسل، والعالي والنازل** (وعلو الإسناد هو قربه من الرسول ﷺ، ونزوله هو الأخذ عمن تقدم موته واشتهر فضله). و(**الحديث الضعيف**) هو ما لم تجتمع فيه صفات الصحيح، ولا صفات الحسن.

وهناك **الأحاديث الموضوعة** (أي: المختلقة أو المكذوبة) والمدسوسة على رسول الله ﷺ، وقد انتشرت في زمن الفتن من جراء التعصبات المذهبية من

الخارجين على نهج رسول الله ﷺ. وعلى الرغم من ذلك فإن جهود علماء الحديث قد مايزت الحق من الباطل، وعَلَّمت البشرية كلها معنى توثيق المعلومة بمنهجية علمية دقيقة نتج عنها آلاف الأحاديث الصحيحة والحسنة. وذلك لأن صحابة رسول الله ﷺ كانوا عدولاً كلهم بنص القرآن الكريم الذي يقول فيه الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ويقول ربنا ـ عز من قائل ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقد كان لكل صحابي من صحابة رسول الله ﷺ رجال رووا عنه، وكان لكل راوٍ شيوخ أخذوا عنه وهكذا حتى تم تدوين كل من أحاديث رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وسيرته الشريفة بصورة لا يماثلها تدوين سيرة نبي آخر من أنبياء الله ـ تعالى ـ ولا عظيم من عظماء الأرض.

وهذه الأحاديث النبوية الشريفة تضم قدراً من الحقائق العلمية التي لم يكن ممكناً لأحد من البشر أن يلم بها أو بشيء منها في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة بعد زمن الوحي وذلك لعدم توافر أدوات الكشف ومنهجياته. وهذه الإشارات العلمية في أحاديث رسول الله ﷺ مما يشهد له بالنبوة وبالرسالة، ـ في زمن العلم الذي نعيشه ـ ومن هنا كان القول بـ (الإعجاز العلمي في السنة النبوية الكريمة). ومن هنا أيضاً كان اهتمامنا بقضيتي الإعجاز العلمي في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهماً لهما، وإثباتاً لفضلهما، ودعوة للناس جميعاً إلى الإيمان بهما لكونهما طوق النجاة في الدنيا والآخرة، وذلك باللغة الوحيدة التي يفهمها أهل عصرنا وهي لغة العلم.

ومن هنا كان في تبني شبكة جامعة عجمان للعلوم والتقنية إنشاء «كرسي للإعجاز العلمي في القرآن والسنة» خطوة رائدة في التأكيد على أهمية هذه القضية، وكانت بذلك أول جامعة في العالمين العربي والإسلامي تتبنى قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فجزى الله ـ تعالى ـ كل من دعا إلى ذلك وأسس وساهم في تحقيقه خير الجزاء، وعلى رأسهم جميعاً معالي الأخ الكريم الأستاذ الدكتور سعيد سلمان الرئيس الأعلى لشبكة الجامعة، سدد الله خطاه، وكتب ﷻ لهذه التجربة الرائدة النجاح حتى تصبح شبكة جامعة عجمان قدوة لغيرها من الجامعات العربية والإسلامية وأنموذجاً يحتذى على مستوى العالم حتى نعيد إليه شيئاً من إنسانيته المفقودة في هذه الأيام المليئة بالفتن وأسباب ووسائل الانحطاط الإنساني، والانحسار الديني والأخلاقي والسلوكي المصاحب بالتقدم العلمي والتقني المذهل الذي أصبح يتهدد مصير الإنسانية بشر العواقب، والله ـ تعالى ـ نسأل أن يعيننا على تحقيق ما نصبو إليه من إنقاذ البشرية التائهة والمفتونة بالعلم والتقنية وبمعطياتهما في أطرهما المادية البحتة، والتي أعمت غالبية أهل الأرض عن نور الإيمان بالله الخالق البارئ المصور وعن حقيقة رسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا: عبداً لله ـ تعالى ـ يعبده بما أمر، ومستخلفاً في الأرض مطالباً بالقيام على عمارتها وعلى إقامة شرع الله وعدله فيها، وهما وجهان لعملة واحدة إذا فقد الإنسان أحدهما عجز عن حسن القيام بدوره كمستخلف ناجح في الأرض، والله ـ تعالى ـ هو الموفق والممتعان، والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

الفقير إلى عفو ربه
زغلول راغب محمد النجار
القاهرة ١٥/ ٩/ ١٤٢٩هـ
١٥/ ٩/ ٢٠٠٨م